فضل أهل بدر

أهل بدر مرتبتهم من أعلى مراتب الصحابة، وبدر مكان معروف، كانت فيه الغزوة المشهورة، وكانت في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وسمّى الله تعالى يومها يوم الفرقان.

وسببها أن النّبيّ ﷺ سمع أن أبا سفيان قدم بعيرٍ من الشام إلى مكة، فندب أصحابه من أجل هذه العير فقط، فانتدب منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان، وخرجوا من المدينة لا يُريدون قتالاً، لكن الله عز وجل بحكمته جمع بينهم وبين عدوهم.

فلما سمع أبو سفيان ذلك، وأن رسول الله ﷺ خرج إليه لتلقي العير؛ أخذ بساحل البحر، وأرسل صارخًا إلى أهل مكة يستنجدهم، فانتدب أهل مكة لذلك، وخرجوا بأشرافهم وكبرائهم وزعمائهم، خرجوا على الوصف الذي ذكر الله عز وجل: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وفي أثناء ذلك جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فتآمروا بينهم في الرجوع، لكن أبا جهل، قال: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا، فنُقيم فيها ننحر الجزور، ونسقي الخمور، وتضرب علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

وهذا يدل على الفخر والخيلاء والاعتزاز بالنفس، ولكن – ولله الحمد – كان الأمر على عكس ما يقول؛ سمعت العرب بهزيمتهم النكراء، فهانوا في نفوس العرب.

قدموا بدرًا، والتقت الطائفتان، وأوحى الله تعالى إلى الملائكة: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا

فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

[الأنفال: ١٢ – ١٤].

حدث اللقاء بين الطائفتين، وكانت الهزيمة – ولله الحمد – على المشركين، والنصر المبين للمؤمنين، انتصروا، وأسروا منهم سبعين رجلاً، وقتلوا سبعين رجلاً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من كبرائهم وصناديدهم، سُحبوا، فألقوا في قليب من قليب بدر خبيثة قبيحة.

ثم إن النّبيّ ﷺ بعد انتهاء الحرب بثلاثة أيام ركب ناقته، ووقف عليهم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا**»، فقالوا: يا رسول الله، ما تكلّم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» (١) والنّبيّ ﷺ وقف عليهم توبيخًا وتقريعًا وتنديمًا، وهم قد وجدوا ما وعد الله حقًا، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنفال: ١٤]، فوجدوا النار من حين ماتوا وعرفوا أن الرسول حق، ولكن أنّى لهم التناوش من مكان بعيد.

فأهل بدر الذين جعل الله على أيديهم هذا النصر المبين والفرقان الذي هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هذا النصر العظيم؛ اطلع الله عليهم، وقال: «**اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**» (٢) فكل ما يقع منهم من ذنوب، فإنه مغفور لهم، بسبب هذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم.

وفي هذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم،فهو مغفور لهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٨١) ومسلم (٢٤٩٤).

وفيه بشارة بأنهم لم يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهذا يقتضي أحد أمرين:

إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذلك.

وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر، فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام.

وأيًا كان، ففيه بشارة عظيمة لهم، ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذلك.

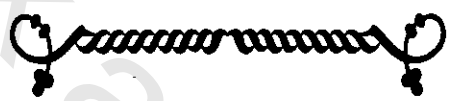

obeikandl.com

فضل أصحاب الشجرة

أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان، وسبب هذه البيعة أن النبيّ ﷺ خرج من المدينة إلى مكة يُريد العمرة، ومعه أصحابه والهدي، وكانوا نحو ألف وأربعمائة رجل، لا يريدون إلاّ العمرة، فلما بلغوا الحديبية وهي مكان قرب مكة، في طريق جدة الآن بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وعلم بذلك المشركون؛ منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل البيت وحماة البيت ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وجرت بينهم وبينهم مفاوضات.

وأرى الله تعالى من آياته في هذه الغزوة ما يدل على أن الأولى تنازل الرسول ﷺ وأصحابه؛ لما يترتب على ذلك من الخير والمصلحة، فإن ناقة الرسول ﷺ بركت وأبت أن تسير، حتى قالوا: «خلأت القصواء» يعني حرنت وأبت المسير، فقال النبيّ ﷺ مدافعًا عنها: «**والله ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده؛ لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله؛ إلاّ أعطيتهم إياها**»(١).

وجرى التفاوض، وأرسل النبيّ ﷺ عثمان بن عفان؛ لأن له رهطًا بمكة يحمونه، أرسله إلى أهل مكة يدعوهم إلى الإسلام، ويُخبرهم أن النبيّ ﷺ إنما جاء معتمرًا معظّمًا للبيت، فشاع الخبر بأن عثمان قد قُتل، وكبُر ذلك على المسلمين، فدعا النبيّ ﷺ إلى البيعة، يبايع أصحابه على أن يقاتلوا أهل مكة الذين قتلوا رسول رسول الله ﷺ، وكانت الرسل لا تُقتل، فبايع الصحابة رضي الله عنهم النبيّ ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا إلى الموت.

وكان النّبيّ ﷺ تحت الشجرة، يُبايع الناس يمد يده فيبايعونه على هذه البيعة

(١) سبق تخريجه.

المباركة التي قال الله عنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وكان عثمان رضي الله عنه غائبًا، فبايع النّبيّ ﷺ بيده عن يد عثمان وقال بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**»(١).

ثم تبين أن عثمان لم يُقتل، وصارت الرسل تأتي وتروح بين رسول الله ﷺ وقريش، حتى انتهى الأمر على الصلح الذي صار فتحًا مبينًا للرسول ﷺ.

هؤلاء الذين بايعوا قال الله عنهم: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾**﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، فوصفهم الله تعالى بالإيمان، وهذه شهادة من الله عز وجل، بأن كل من بايع تحت الشجرة، فهو مؤمن مرضيّ عنه، والنّبيّ ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»؛ فالرضى ثابت بالقرآن، وانتفاء دخول النار ثابت بالسنة.

وقول النّبيّ ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(٢) قد يقول قائل: كيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾**﴾ [مريم: ٧١]؟.

فالجمع من أحد وجهين:

الأول – أن يُقال: إن المفسرين اختلفوا في المراد بالورود، فقال بعضهم: هو المرور على الصراط؛ لأن هذا نوع ورود بلا شك، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ**﴾ [القصص: ٢٣] ومعلوم أنه لم ينزل وسط الماء، بل كان حوله وقريباً منه، وبناء على هذا لا إشكال ولا تعارض أصلاً.

والوجه الثاني – أن من المفسرين من يقول: المراد بالورود الدخول، وأنه ما

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٨) والترمذي (٣٧٠٦).

(٢) صحيح، رواه أبو داود ٤٦٥٣٠) والترمذي (٣٨٦٠).

من إنسان إلاّ ويدخل النار، وبناء على هذا القول، فيحمل قوله: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»: لا يدخلها دخول عذاب وإهانة، وإنما يدخلها تنفيذاً للقسم ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ أو يقال: إن هذا من باب العام المخصوص بأهل بيعة الرضوان.

وقوله: «الشجرة»: الشجرة هذه شجرة سدر. وقيل: شجرة سمر، ولا طائل تحت هذا الخلاف، كانت ذات ظل، فجلس النّبيّ ﷺ تحتها يبايع الناس، وكانت موجودة في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر رضي الله عنه وأول خلافة عمر، فلما قيل له: إن الناس يختلفون إليها - أي: يأتونها - يصلون عندها، أمر. بقطعها، فقُطعت.

قال في الفتح [1]: «وجدته عند ابن سعد بإسناد صحيح لكن في صحيح البخاري [2] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: رجعنا من العام المقبل - يعني: بعد صلح الحديبية - فلما اجتمع منّا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله، وهكذا قال المسيب والد سعيد: فلما خرجنا من العام المقبل، نسيناها، فلم نقدر عليها».

وهذا لا يُنافي ما ذكره ابن حجر عن ابن سعد؛ لأن نسيانها لا يستلزم عدمها ولا عدم تذكرها بعد. والله أعلم.

وهذه من حسنات عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأننا نظن أن هذه الشجرة لو كانت إلى الآن لعُبدت من دون الله.

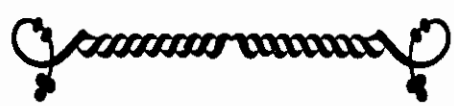

(١) فتح الباري (٧/٤٤٨).
(٢) رواه البخاري (٢٩٥٨).